المدخل الى الفولكلور العراقي

تأليف
عبد الحميد علوجي و نوري الراوي

اذا كان لرجل الطبقة الوسطى من بداية واضحة فى أحداث التاريخ ، فقد كانت تلك البداية هى فجر الثورة الميكانيكية فى اوربا • واذا كان للرجل الشعبى الغير من بداية فى الاحداث التى أعقبت تلك الثورة ، فهى النقطة التى انتقل فيها مركز الثقل من الانسان الفرد الى الانسان المتمثل فى الملايين •

ففى مستهل هذا القرن الذى صاحبت مقدمه تلك التحولات الكبرى فى تاريخ المجتمعات البشرية ، بدأنا نتلمس ـ بصورة واضحة ـ نمو النزعة الانسانية بعد أن استبدلت الثقة بمنهجية العلم للقرن التاسع عشر بالثقة بالمجهود الانسانى وبالحرية والكفاح والتمرد[1] •

والفن والعلم ـ فى انتقالهما من الكنيسة ، الى قلاع النبلاء ، الى قصور أساطين المال ، الى مسرح الحياة اليومية للرجل البسيط الذى يقرأ الجريدة ، ويختلف الى السينما ، وينزع الى أن يرى حياته ممثلة فى المسرح والكتاب والصحيفة اليومية وعلى الشاشة البيضاء ـ انما يعكسان الوجه الاكمل لهذا التحول العميق الذى شمل كل شىء ، وغير وجه كل شىء فى حياة العصر • فالوظائف التقليدية التى كانت للعلم والفن قبل ذلك ، أصبحت بفضل الافكار الجديدة ، لا تنسجم ـ بحال من الاحوال ـ مع طبيعة العصر التى قضت على أفضليات الرجل « السوبرمان » ، وأبدلتها بأفضليات الرجل السوى الذى يؤلف نواة المجتمع العصرى القائم •

وهكذا اتجه العلم والفن الى خدمة سيد المجتمع الجديد ، وتضاءل ـ شيئا فشيئا ـ بريق شعاريهما الكبيرين فى : المعرفة لذات المعرفة ، والفن لذات الفن •

ولم يكن من بد فى أن تذهب كل الصياغات المعجزة من الاقوال والحكم الخوالد فى ذمة التاريخ ، وأن ترتفع فوق ركامها نصب جديدة تشيد بالانسان وتدرس حياته بغض النظر عن لونه أو جنسه أو مرتبته فى سلم الحضارة • وفى خلال هذا التطور الذى شمل المجتمعات البشرية ، بدأ العلم يؤكد ـ

---

(١) شاكر حسن سعيد : « القيم التصويرية المعاصرة » ـ مجلة الاسبوع ١٩٥٣ •

فى سلسلة من كشوفه المتواترة ـ على أهمية الحضارات البدائية ، وحيوات الشعوب المنسية : مأثوراتها ومعارفها وتقاليدها وفنونها وطرز عيشها ... مما قاد الى وضع المقدمات التمهيدية لولادة علم جديد هو علم « الفولكلور » الذى تنازعت نسبته اليها ـ أول الأمر ـ علوم اخرى كعلمى الاثنولوجى « الاجناس » والانثروبولوجى « علم الانسان » . ولقد كان لابد لهذا العلم من أن يسلك سبيل غيره من العلوم العصرية المستحدثة فى الاستقلال ، وأن يجتهد فى وضع الخطوط البارزة لمذاهبه ، ومناهجه ، وميادينه .. أو تحديد موقفه من العلوم الاخرى التى ما زالت تعتبره تابعا لها وخادما لاغراضها . وهذا ما فعله علماء « الفولكلور » فى المرحلة الاولى من تجاربهم لاقامة المفاهيم الجديدة لهذا العلم على قواعد مستنبطة من دراساتهم لمعارف الشعب الساذجة .

لعل أول من وضع نقطة البداية فى تاريخ علم الفولكلور هو عالم الاجناس الانكليزى وليم جيمس تومس W. G. TOMES ، فقد حدد بمحاضرته التى ألقاها عام ١٨٤٦ تحت عنوان « ثروة الثقافة المتواترة بين أفراد الشعب » فى قاعة « الاثينيوس » بلندن ، معنى الفولكلور وتسميته .. وفتح أمام المشتغلين فى هذا الميدان بابا عريضا لولوج عالم جديد كان حتى ذلك التاريخ معروفا .. ولكنه كان بلا اسم ، وغير محدود المعالم[1] .

وفى عام ١٨٧٨ تأسست جمعية الفولكلور بلندن .. كصدى للحاجة التى كان يشعر بها اولئك الذين وهبوا جهودهم وطاقاتهم فى سبيل ارساء قواعد هذا العلم ، وتثبيت أسسه .

ولقد تجمعت أهداف الجمعية فى نقاط رئيسة ، نجملها فى ما يأتى ، ايثارا لتبصير القارىء بما توصل اليه اولئك العلماء من نتائج فى هذا السبيل ، وكشفا لموضوعاته ، وميادينه الوسيعة : « المحافظة على المأثورات الشعبية ، من حكم وأمثال وأشعار ومقطوعات غنائية وعادات قديمة باقية ، وكل ما يتصل بهذه المواضيع من أفكار وآراء ومناقشات » .

وذهب أعضاء الجمعية فى مناقشاتهم الاولى لعلم الفولكلور الى أكثر من ذلك فى تفريع مواضيعه وتوسيع آفاق دراساته ، فتوصلوا الى أن « الفولكلور هو علم المأثورات NARRATIVES والعادات CUSTOMS والتقاليد TRADITIONS

---

(١)

Encyclopaedia Britannica (11th. Edition), Vol. (1) 9-10, Art Folklore.

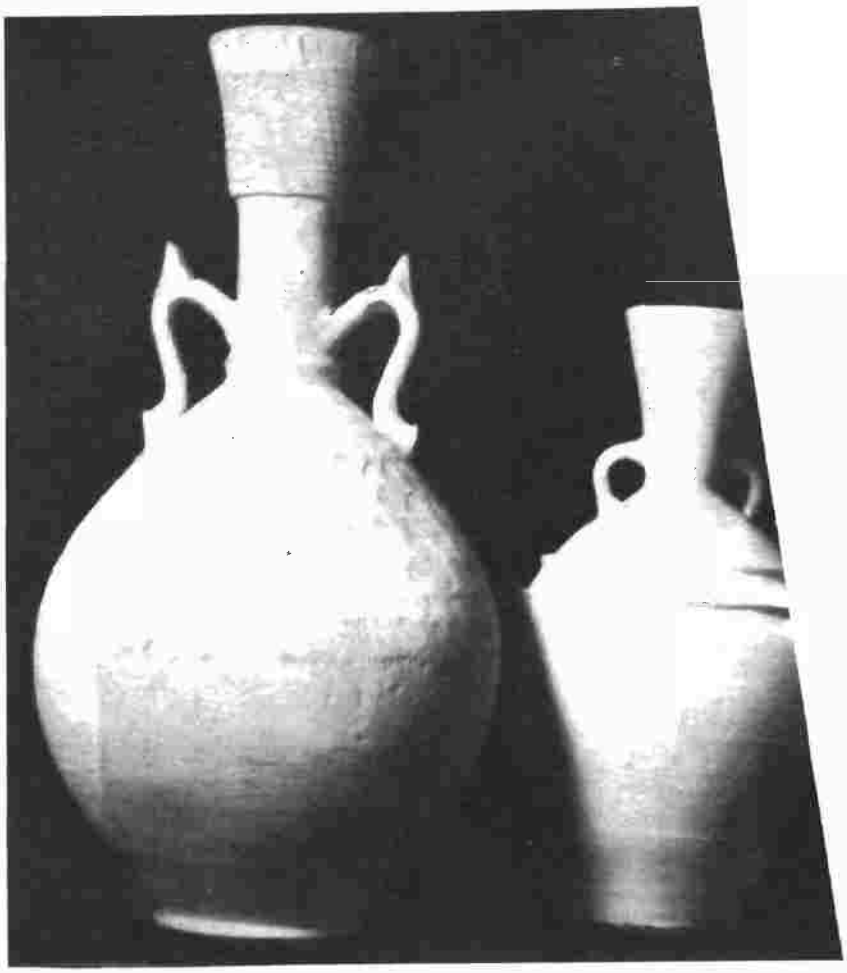

من نتاج اليد العراقية
المفكرة : مبردات
الماء وابارية الطين

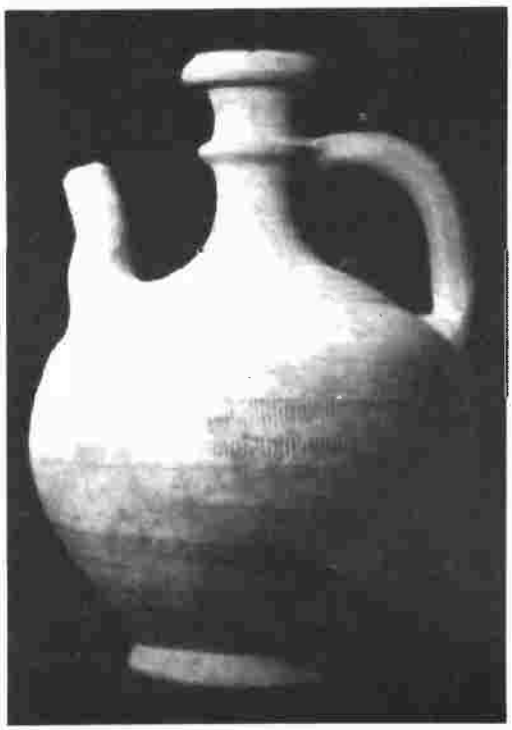

غير أن هذه التقاليد لا تقتصر على ما يجرى أفراد الشعب عليه من طقوس خاصة فى مناسبات معينة ، بل تشمل آراءهم الموروثة فى مسائل الكون والحياة ، وأمثالهم الجارية على ألسنتهم ، وحكمهم التى يؤمنون بصدقها ، وموسيقاهم الاثيرة فى الافراح .. أو العبادات ، وما يترنمون به من أغان وأناشيد فى المناسبات وغيرها . والفولكلور

يضم ـ الى ذلك ـ العقائد الخرافيـــة ،والاوهام ، والتطيرات ، والفؤول ، واللغة الشعبية (مصطلحاتها ، أمثالها ، ألفاظهـاالتى تستدعى معانى ، أصواتهـــا التى تؤدى معانى) ، ومعارف الشعب القديمةالتى مـا تزال قائمة أى بقايـــا العصور السالفة بما فيها البدائية .. اذ أن كل ماتمارسـه الشعوب بصورة ثابتـة متعادية الوقوع ، ســواء مـا اتصـل منه بشؤونالحيـاة اليوميـة العادية (طراز العيش ، والعلاقات الاجتماعية والادوات والملابسوالاثاث والزينات والقواعـد الفنية التى يجرى عليها صنع هذه الاشياء) ، أو مـاتعلق بطقوس المناســبات أو المعتقـدات الدينيـة ، ومـا يتناقله أفراد الشعب منقصص تاريخهم ومآثر أبطالهـم ، انما يمثل الحصيل النهائى لعلم الفولكلور .

وانطلاقا من هذه الاسسانامة توزعتالبحث مدارس مختلفة متناثرة فى اوربا ، وعالجت بشـــكل مستفيض مواضيـــعالفولكلور الواسعة التى عاشت منذ نهاية القرن الماضى حياة خصبة ، مطردة النماء .

ولقد ظهرت المدرســة الانكليزية فىظل الدراسات التى قام بها أعضاء جمعية الفولكلور آنفة الذكر ، وبرزت الى جانبهاالمدرســة الفنلنـدية القائلة بأن موضوع الفولـكلور الرئيس هـــو « المأثوراتالشفاهية ، وكل ما يتعلق بالاساطير ، وما ينتج عنهـا مـن صـــور الفن والادبالشعبين » .

وأقامت المدرسة الالمانية اسسها على غيرما أقامته عليـه المدرستان السـانفتان ، اذ أكدت عـلى ضرورة اسـتقصاء اصـولالعناصر التى تؤلف الاسطورة الشعبية ، ومدى التقاء هـــذه الاصول فى اعمـاقالتاريخ البشـــرى ، وخلصت الى أن اسطورة معينة لهـا أصل واحـــد وانااختلفت صورها من شعب الى آخر ... وهكذا انتهى بهـــا الامر الى أن تضـع نتـائج دراساتهـــا فى نفس المدار الذى انطلقت مـن جذبـــــه أغلب المدارسالاخـرى ، وابتعدت شيئا فشيئا عن ذلك حتى وصلت فـى النهـــاية الى ميـدانالميثولوجيا المقارنة التى تخـدم الادب آنا والتاريخ آنا آخر .

ولقـد عززت المدرســة التى عرفتبالمدرسة الهندية الاتجـــاه السالف بما كشفته من غوامض وما توصلت اليه منتائج باهرة فى هـذا الميدان ، اذ انهـــا أثبتت انتقـال جانب كبير من الاسـاطيروالاقاصيص الشعبية والحكايات الخرافية

العائلة الشمعدانية
موروث مقدس
لايفارق الاضرحة
والمزارات..

الهندية ، عبر آلاف الاميال ، من عالم الى عالم لا ارتباط ـ كما يخيل للمرء ـ بينهما ، وأقامت الدليل على أن ذلك الرصيد الهائل مما تملكه اوربا من تراثها الفولكلوري يعود الى أصل هندي وصل اليها عن طريق الشعوب الهندو ـ اوربية أو عن طريق الفرس والعرب .

ولقد كان لظهور هذه المدرسة أثر واضح في بزوغ مدرسة مناهضة اخرى لها هي المدرسة الانثروبولوجية التي جعلت هدف دراساتها « الرجل الساذج البسيط » ـ سواء كان بدائيا أم متحضرا ما زال يتعلق بالموروث من المأثورات ـ واعتبرته المادة الخام التي تنبع منها اصول علم الفولكلور ، وهذا ما يؤكده تعريف « بتريه » الذي ينص على أن « مظاهر الحياة الشعبية للشعوب البدائية وللطبقات

الطير ـ الابريق
معجزة الاصابع
الشاعرة

لدينا من الشعوب المتقدمة تحكمها قواعد معينة موروثة لها قوة القانون ، وهى تخضع لها أكثر من خضوع أى جماعة متقدمة لقوانينها . وهذه القواعد هى التى تفسر مظاهر الحياة الشعبية التى تبدو غريبة فى بعض الأحيان ، كاتفاق معظم الشعوب على الاعتقاد بأن لمظاهر الطبيعة أرواحا ، وهو الاعتقاد الذى انتج صورا كثيرة من العادات والمأثورات والتقاليد التى تركت آثارها فى الفن والقصص والشعر ، ... ومن أبرز خصائص هذه المدرسة أنها تعنى أكثر من غيرها بدراسة وجوه الحياة الشعبية ومظاهرها دراسة منهجية كاملة ، ثم تمضى - بعد ذلك - فى استقصاء اصول تلك الوجوه والمظاهر - على ضوء علم الأنثروبولوجى - وتقوم

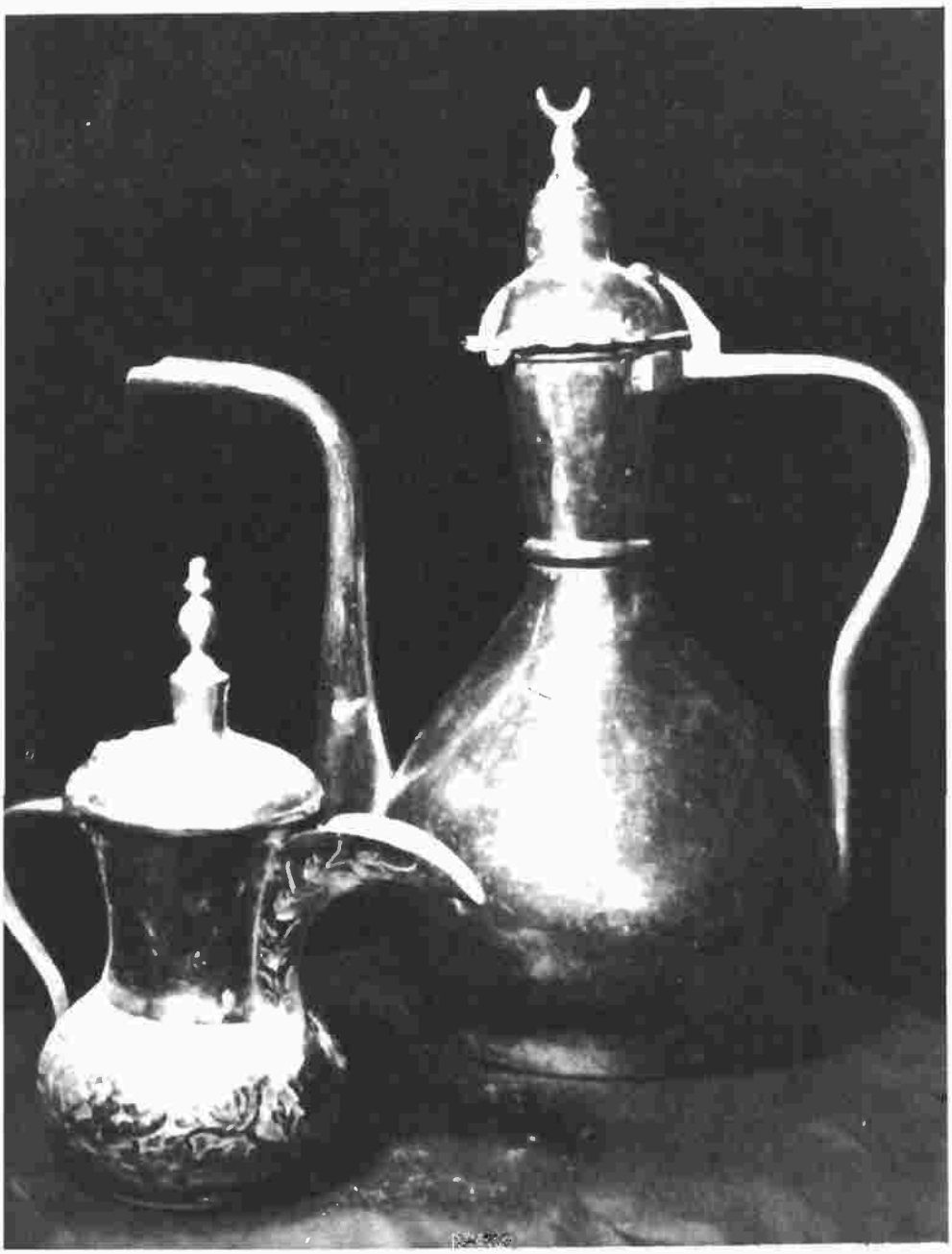

الدلة والابريق
زينة السوق
والبيت

بمقارنتها بالمظاهر المماثلة لها لدى الشعوب الاخرى .. أى أنهـا تمزج بين عمـل عالم الفولكلور وعالم الاجناس فى دراسة حياة الشعوب البدائية ، غير أنهـا تفرد للاول مجال دراسة حياة الطبقات الشعبية المتخلفة فى الجماعات المتقدمـة .. أى حياة الجماعة البسيطة التى تعيش منعزلة فى القرى البعيدة والجبـال والوديان ، وتحتفظ ـ فى حرص ـ بالعادات القديمة فـى البيت وخارجـه ، وبالموروث مـن العقائد والخرافات وصور الانتاج الذهنى السائد[1] .

وتتجمـع أهـداف المدرسـة الانثروبولوجية فى النقاط التالية :

(آ) جمع المأثورات الشعبية ودراستها وفق منهاج دقيق خاص .

(ب) تسجيل صور الحيـاة الشعبية بالتصـوير والرسـم والوصف المـكتوب وتسجيل الاغانى بالـكتابة العاديـة ، ثم رسمها بالطريقة الخاصة بعلم الاصوات

رصيد شعبى من الاسقاط والمحافظ

---

(١) هـذه هى خلاصـة الدراسـة الفولكلورية التى انجزهـا احمد رشدى صالح فـى كتابـه « الادب الشـعبى » والدكتـور حسين مؤنس فـى مجلـة « المجلة » القاهرية .

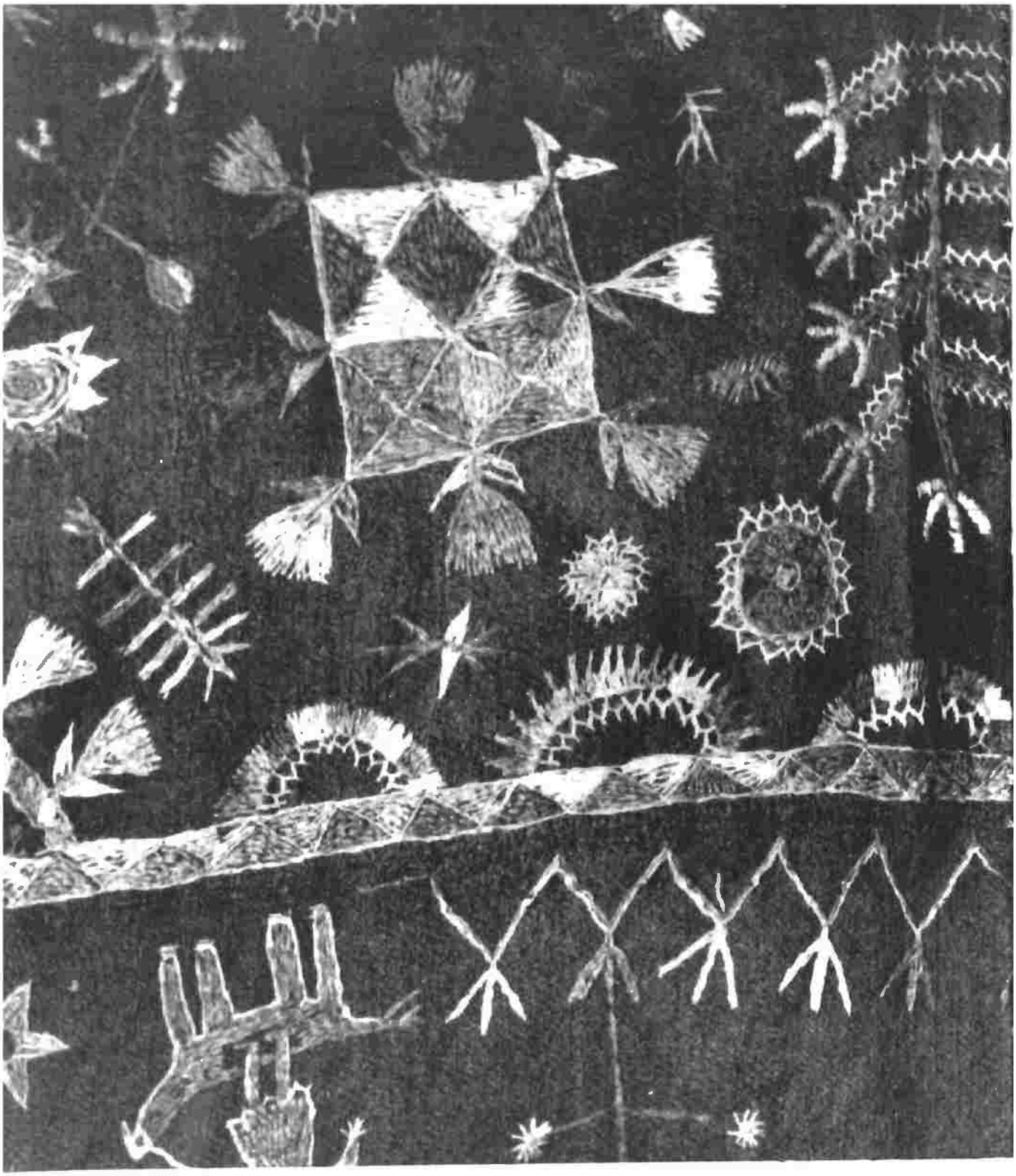

النسيج المزخرف من آيات الفولكلور العراقي

▲ يدنا الشعبية تسخر المرمر في خدمة الشاي

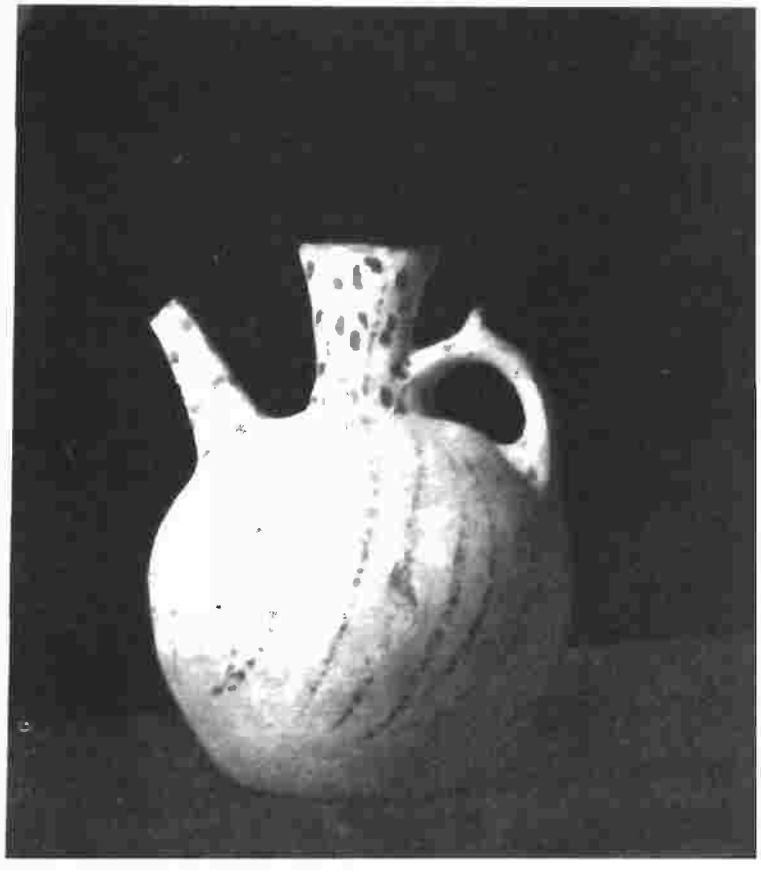

◀ الابريق عماد حياتنا في صعيدها الشعبي

PHONETIC ، ووصف الحركـــات الراقصة وتفسيرها ، ثم تصوير الاشكال المختلفة لكل أداة أو آلة أو قطعة من نسيج أو جلد أو ما أشبه ، واثبات أشكال الملابس وأنواعهـا وصورهـا واستعمالاتهـا ، يضاف الى ذلك تصوير الاعياد والمناسبات وحفظ نماذج مجسمة منهـا بكل وسائل الحفظ المعروفة فى المتاحف .

وهنـــاك ، أيضـا ، الى جانب تلك المدارس ... المدرسة الانثولوجية وهى أكثر تعقيدا من سابقتها ، لانها تتناول كل ظاهرة من ظواهر الحياة الشعبية ـ مادية كانت أو معنوية ـ وتشرع بتحليلهـا الى عناصرها الاولية ، ثم تبحث عن نظائرها فى الامم الاخرى ، غير أن اتســاع دوائرها الدراسية هـذه كثيرا ما يخفى أثر البداية التى انطلقت منها أول وأصغر دائرة ، وهى ما تعنى دارس الفولكلور .

وقد نشأ نتيجة لذلك منهجان رئيسان لدراسة الفولكلور ، أولهما : المنهج القومى فى الدراسة ، وهو المنهج الذى يعمد الى استقصاء الخصائص الاساسية لحضارة معينة عن طريق دراسة المأثورات الشعبية للامـة التى قامت فيهـا هـذه الحضـارة ، وثانيهما المنهج الانسـانى ، وهو المنهج الذى يتتبع الاصول الانسانية للمأثورات الشـعبية ، ويجهد فى البحث عن مصادرها وجذورها المشتركة .

بدأ الاهتمام بدراسـة الفولكلور فى اوربا حينمـا ظهـرت الى الوجـود أولى بوادر الشعور الوطنى بالاستقلال والتكامل القومى والاعتزاز بالمقومـات الشـعبية الاصيلة ، وهذا ما حدا بعلماء تلك البلدان الى بذل أقصى الجهود فى سبيل الوصول الى قواعد علمية رصينة تضمن لهذا العلم الجديد بقاءه واستمراره بين سائر علوم العصر ، ولقـد سـعى هؤلاء ـ كل فى ميدانـه ـ الى وضـع المنـاهج الدقيقة والقـواعد الثابتة لاقتناص شـوارد الفنون والمعارف الشعبية وسائر الظواهر والحقائق التى تمثـل روح شعب معين : بعاداتـه وطقوسـه وأفكاره ... حتى توصلوا الى أن أى فن من تلك الفنـون الشعبية ـ وهى مـا تدخـل تحت باب : الافكار ـ لا يمـكن أن يخضـع لقوانين تلك الدراسة ، ويصبح خالصا بين أيدى الناس الا بعد أن يمر بمراحل معينة ذات خطوات وحدود وأبعاد ومقاييس علمية ثابتة .

لقـد ظلت الفنون الشعبية محتفظة ـ على مر العصور ـ برواء ألوانها ، وغنى

مادتها ، وبراءتها الفطرية ... لانها بقيت دون سائر جهود الانسان في منأى عن تيارات السياسة وبمعزل من أهواء الحاكمين ، وهذا ما أبقى لها روحها البدائي السادح ، وجعل منها مادة لاتنضب لفنون عصر برمته : هو العصر الحديث .

ولتفسير هذه الظاهرة التي وقع عليها علماء الفولكلور ، لابد لنا أن نعرف بأن الحضارات الانسانية الكبرى سارت في نموها على خطين غير متوازيين ، وانتهت الى شكلين مختلفين في الخصائص والسمات والقيم ونوع الانتاج ، فلقد عرفت المتاحف أول ما عرفت تلك الحضارات التي ازدهرت على شواطىء الانهار والبحار والواحات والتي عرفت فيما بعد بحضارات الثقافات الرفيعة ، أما الحضارات الاخرى التي لم يلتفت اليها العلماء الا في سنين متأخرة ، فهي الحضارات البدوية التي نشأت في الوادي والسهول . وكانت بقوانينها وقيمها وجماع تاريخها تختلف كل الاختلاف عن سابقاتها ، ففي عام ١٩٢٥ حينما بدىء في تنظيم المعارض الخاصة بالفنون والحضارات البدوية تنبه العالم الى فن جديد له أهميته وجماله وروعته ، وعرف أنه ازاء حضارات تختلف اختلافا جوهريا عما شهدوه في المتاحف الكبرى والآثار التاريخية الشاخصة نحو الحضارات

ذخائر الماء
بين بركات
اليد والشمس

▲ تحت العقال والكوفية مصوغات تتفجر روعة ودواء .

◀ العقل الشعبي الخلاق يلهم اليد الصناع شوامخ الآنية .

السحقية المعروفة . ومن يومئذ بدأ العلم يستجلى شيئا فشيئا غوامض تلك الحضارات التى بزغت فى وادى الرافدين والنيل وعلى بطاح الصين وحوض الكنج والسهل الهنغارى .

وحينما كف انسان هذه الحضارات عن الصراع الذى كان يخوضه فى سبيل البقاء .. كانت الطبيعة قد هادنته ولم تعد له عدوا ، وحينما اطمأن على استمرار وجوده ، وامتداد ذراريه ، شرع يفكر فى « الذات » التى انجبت تلك الحضارة البالغة الكمال . ومن ثقته العتيدة تلك استنبط أهمية نوعه بين الاحياء . وهذا ما قاده الى ان يصنع من صورة الانسان نموذجا مختارا لآلهته ولموضوعات فنه .. وبرز ذلك جليا واضحا فى جميع ما أنتج وخلد من روائع الفن .

وعلى النقيض مما يجده الدارس المتأمل لتلك الحضارات نرى ان الفنون البدوية قد خلت من صورة الانسان ، وتميزت بنقل النماذج الحية من الطبيعة

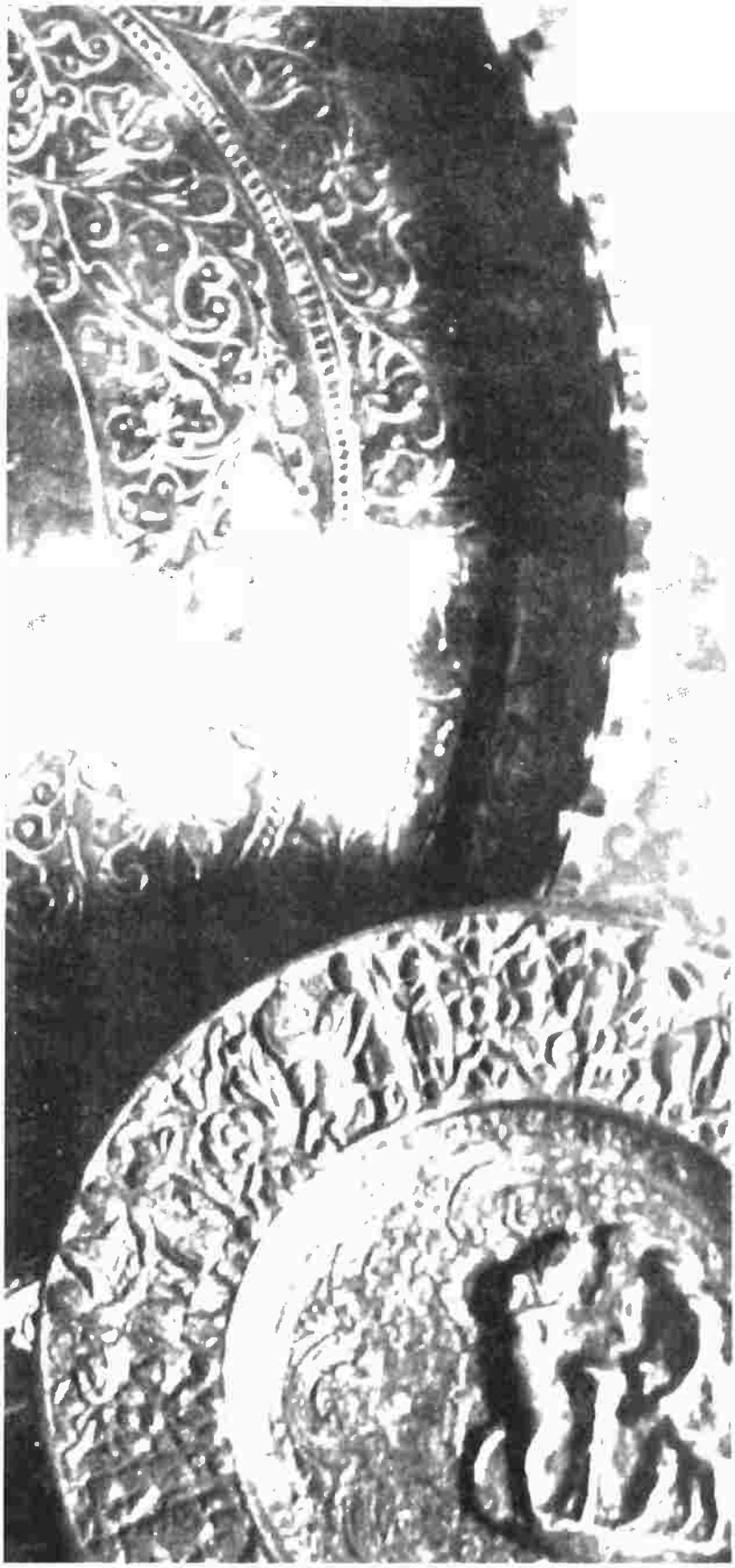

فلا رمزيا مجردا .. أبعد ما يكون عن الشكل البشرى الذى عرفته فنون الحضارات السالفة الذكر .

لقد عمل فنان الحضارة الاوربية جاهدا فى البحث عن ميادين جديدة لفنه حينما قدمت له كشوف العلماء أول صورة لاول انسان وجد على سطح الارض ... حيث ساهمت تلك الكشوف مساهمة فعالة فى انارة الكهوف المظلمة لانسان ما قبل التاريخ[1] ، ووضعت أمام أنظار الملايين أولى التجارب التعبيرية فى حقل الفن . وقد ألهبت تلك الاكتشافات مخيلة الفنان المعاصر ـ الذى وجد نفسه وحيدا أمام مصيره ـ فتأثر بهذه الرسوم أيما تأثر ، وحاول أن يرسم شيئا بسيطا يماثل تلك الرسوم الحرة ... شيئا عفويا ، صافيا ينقد وجدانه المرهق من عفن الحياة .. وهكذا ظهرت تأثيرات الفنون البدائية فى أعمال « گوگان » ، وأساليب الرسامين الوحشيين ، وطريقة الفنانين « مودليانى » و « كاندنسكى » ، ورسوم « بيكاسو » فى الفترة الزنجية من تاريخ اسلوبه الحى المتطور .

وأزاء بدائية الزنجى الافريقى ظهرت ـ فى وضع مناظر ـ بدائية رجل الشارع

(١) راجع ما ذكره حسن الباشا بهذاالصدد فى كتابه « تاريخ الفن فى عصر الانسان الاول » القاهرة ١٩٥٤ .

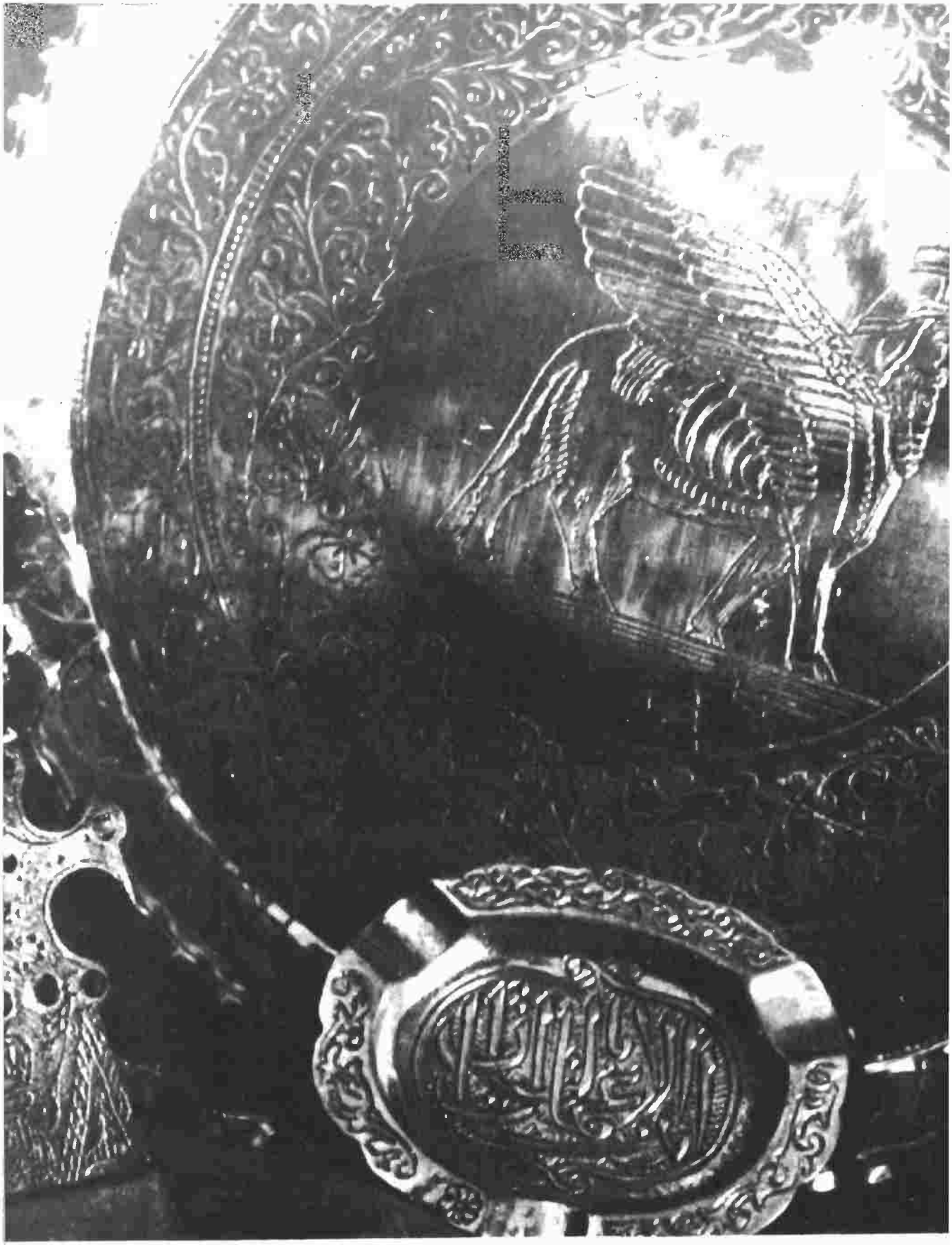

الثور الوثني تطوقه الزخارف الشعبية في صينية نفيسة .

الاوربى جلية واضحة فى لوحات الفنان« روســو » تلك الرســوم التى تفيض وداعة وبساطة ونقاء •

ولعــل من ابرز الظواهر التى لازمت الفن الحديث منذ نشوئه هى تلك الرجعة الاسلوبية نحو البداهة والســذاجة التى يجدها المتأمل فى أعمال هنرى ماتيس ، وراؤل دوفى ، ومارك شاگال •

أمــا ماتيس فقــد عــدل عن التعاليم الاكاديمية ، وراح يبحث عن الفطرة فى خطوط مبسطة كل التبسيط ، فاستطاع أن يهمــل الطوارىء والاضافــات ، وأن يســعى للوصــول الى الجوهــر الخفى والمعنى الخالص • وأما دوفى فقد نبــذ المهــارة ايثارا لطريقــة الجهلة بقواعــد الرســم ، حتى انــه كان يخطط بيــده اليسرى ، وكان لا يعبأ بمطابقة الواقع اذ كان يقول « ما الطبيعة الا افتراض » •• فأنت ترى فى لوحاته دنيــا الاطفــال وعذوبة العمر الطرى ، وفى لمساته خفة اجنحة الفراش ، وروح النغم اللطيف • أما شاگال فقد انطلق من هذا العالم الحى العريض الى عالم الوهم والرؤى والاحلام لا يحبسه العقل ولكن يتفهمه الاحساس الفيــاض ••• هؤلاء الثلاثة وغيرهــم يلتقون بالاطفــال على وجــه العموم فى ميدان البساطة الفطرية ، واهمال الواقع ، والشرود مع الخاطر[1] •

ولم يقتصر تأثير الفن الحديث بالفنون الشعبية التصويرية أو الفنون البدائيــة وحسب ، بل تعــداه الى ســائر الفنون الاخرى • فلقد طرقت الموسيقى ميادين الفولكلور ايضــا ، وهبطت من فضاء (المطلق) الى أرض الحقيقة التى تجيش بالمتناقضات ، ثم بدأت تستقى موضوعاتها المستطرفة من ينابيــع الموسيقى والاغانى والاشعار والقصص الشعبية المتوارثة ••• لتصوغ منها أعمالا فنية جــديدة فيهــا الاصــالة والجمــال والابداع • غير أن النتائج كانت تتراوح بين قطبين من اخفاق يذهب بروح تلك التعبيرات الاصيلــة الساذجة ، أو نجاح يرفعهــا الى درجة المطلق الموسيقى والعالميــة الفنية • فنحن نجد مثلا فى اوبرا كارمن لجورج بيزيه ان الالحان ذات الطابع الاسبانى لم تحتفظ بفصاحة الانغام الاسبانية ورقتها ، لانها انما أعدت للمسارح الكبرى ، ولم تصغ فى الحقيقة لرعاية الاصل والحفاظ على عفويته ، وهذا ما دعى المؤلف الى اغراقها بالزينات وبالمحسنات الايقاعية التى تروق للمشاهدين والسامعين • وهــذا عين مانجده فى اوبرا لاكمه التى صاغ فيهــا

---

(١) الدكتور بشر فارس : « تصاوير الاطفــال » ــ مجلة الــكاتب المصرى ٣ [١٩٤٦] العدد ١٢ •

دفان يداعبان هشاء المحسنين

موضوع فولكلوري ينساب بين الاوتار

« ليودى ليب » أنغامه الهدية ، وكذلك في اوبرا مدام بترفلاى ذات الاعلام اليابانيه لبوتشيني .

غير ان التجارب الواسعة التى قام بها بعض أفذاذ هذا العصر من الموسيقيين جعلت من الممكن ، وضع موسيقى مطلقة على موضوعات فولكلورية » ، وأبرز مثل سوقه للتدليل على ذلك .. تلك النتائج الضخمة التى حققهـا الموسيقار المجرى الكبير صـلا بارتوك BELA BARTOK فى هذا الميدان حيث استطاع أن يكشف ينابيع السذاجة والاصالة فى موسيقى الشعب التعبيرية ، وينظمهـا بعلمه ، ويرفعهـا الى درجـة المطلق الموسيقى . وليس لنا هنا الا أن نجتزىء جانبا صغيرا من الدراسة الموضوعية التى قدمها الأستاذ مطاع صفدى عن « مشكلات

التعبير في الموسيقى الحديثة[1] ، والتي تناول فيها بالتحليل الاثر العميق الذي أحدثه بارتوك في موسيقى بلاده ،والموسيقى العالمية برمتها : « ان بيلا بارتوك هو الذي لم يبق فحسب ، في حدود التأثر اللاشعوري بفولكلور بلاده .. بل تقصد بارادته وبواسطة مبادىء جمالية معينة أن يؤلف موسيقى مطلقة على موضوعات فولكلورية » .

وعندما يدرك المؤلف غايته وغاية العصر الذي يعيش فيه ، ويهيء له كامل الاستعداد العلمي النظري والمصادر الايحائية المبدعة ، فانه لابد أن يخرج للناس أعمالا متماسكة تعلن انتصار الهدف الذي سعى اليه الكاتب الفني .

تلكم هي الحقول التي ترامى فوقها علم الفولكلور ، وقد سلطنا عليها من الاضواء ما يكفي لاستجلاء مدارسها ومذاهبها في أرجاء مختلفة من العالم .. والآن نرى لزاما علينا أن نرعى الفولكلور العراقي بنظرة ناقدة ، ونكشف على تعداد آفاقه المنبسطة ، ونفحص النشاط العلمي المحدود الذي تناولها ، ونتدارس الامكانيات التي قد تغذي الآمال في تعزيز مركز الفولكلور العراقي في وزارة الارشاد .

ان لكلمة فولكلور مدلولا يحتضن جميع التقاليد والعادات والعقائد والفنون والآداب والصناعات والازياء الشعبية ،فهو يستغرق الحياة الشعبية بتراثها الروحي والفني والادبي والتاريخي ..وهذا ما جعل اللغة العربية عاجزة عن اسعافنا بكلمة واحدة تنطوي على جميع خصائص الفولكلور ... ولكن بعض الولعين بهذا العلم الخطير أطلق اصطلاح « الادب الشعبي » مقابلا لتلك الكلمة الاجنبية ، وفضل سواهم « الفن الشعبي » وكلا الفريقين واهم ، خاطىء ، لان الادب الشعبي ـ ومثله الفن ـ لايستطيع أن يمنح العادات أو العقائد حق اللجوء الى حظيرته ... ومن هنا رأى مجمع اللغة العربية في القاهرة ان كلمة « المأثورات الشعبية » تستطيع أن تؤدي أغراض الفولكلور ، ولكن اصطلاح « التراث الشعبي » أشمل من المأثورات الشعبية .. فهو يستقيم مع جميع الالتماعات التي انقدحت في الضمير الشعبي .

وهناك مذهب آخر يبشر بأن الفولكلور قد يتمرد ـ أحيانا ـ على ميدان (العامة) .

---

(١) مجلة الآداب البيروتية ٤[١٩٥٦] العدد الاول .

الـوتـريفـنى تحت

وتدعيما لهذا المذهب أشار أصحابه الى بعض النصوص الشعبية التى دونتهـا مؤلفوها باللغة الفصحى ، والتى سجلت جانبا كبيرا من ملامح الطبقات الدنيا .. كآثار أبى عثمان الجاحظ وأبى حيان التوحيدى ومكسيم غوركى .

لقـد أجمع الفولكلوريون عـلى ان الشـرقين الادنى والاوسط هما الحاضن البعيد للتراث الشعبى ، وان العراق هو حاضنه الابعد .

ان تربة العراق تنطوى على ثروة ماديه آثارية لما تزل عذراء ، وان شفتى المواطن العراقى ما انفكتا تخفقان بتقاليد مشدودة بأعرق عصور التاريخ قدما ... فالعراق هو مهـد الانسـانية ، وان المرء ليتوقع ـ بسهولة ـ أن يعثر عـلى ثمالات مـن براسيم الامهـات ، ومن الحـكايات التى ألهت البشرية ابان طفولتها .. اذ الواضح ـ فى كل قطر ـ أن تكون التقاليد أكثر ابغالا فى القدم من التاريخ .

لقد انبثقت تقاليـد العراق من ينابيع شتى ، لانه كان جسـر العـالم ، ومدار حروبـه ، والطريق المؤدى الى الهنـد والشرق الاقصى ... ولقد تكسرت فوق أديمه أمـواج متلاحقـة مـن الهجرات والفتوح والاستعمار .. وهـذا ما رأيناه ـ فجـر التـاريخ ـ حينمـا سـيطر

الاصـــــابع الحـــــالـــمة !!

السومريون على الجزء المنخفض من العراق ، فتناهت بهم الحال الى اخضاع الكلدانيين والكاشيين والآشوريين وغيرهم .

وكل جنس ، في دور ما ، قد سلخ جمهرة من تقاليده وعاداته وعقائده الدينية وأساطيره ليسبغها على تقاليد العراق ... ولم يقتصر هذا التعاطي على الاجناس وحدها ، وانما شمل سواها ، فالتجار اتخذوا العراق سبيلا تجاريا يربط حوض البحر الابيض المتوسط بالشرق الاقصى ، والزنوج والمصريون والهنود والفجر منحوا تقاليد العراق شيئا وأخذوا منها شيئا وزعوه في الآفاق . وكان الرقيق ـ بلا شك ـ حملة القصص منذ العهد السومري .. حيث استوردوا من افريقيا ، وهم ـ دائما ـ قصاص من الطراز الاول بحكم مركزهم الاجتماعي الذي يقتضيهم تسلية الاسياد بكل ما أوتوا من مهارة .

وفي العهود الاسلامية المتأخرة رأينا قوافل الزوار الموسمية تروح وتغدو ، ورأينا من الزائرين من طاب له الاستيطان في المدن العراقية المقدسة كالنجف وكربلاء ... فلا عجب اذا كانت حكايات العراق الشعبية من نسج الطبيعة .

ان الحديث الشفهي هو ابن عم النص المدوّن .. ولكن جانبا يسيرا من القصص الشائع ـ اليوم ـ في العراق يعكس بعض المشاهد التي نلمسها في كتاب ألف ليلة وليلة ، غير ان المواطنين العراقيين يتداولونها وكأنها صنو الحكايات الشعبية التي التقطها الاخوان گيوم وجاكوب گريم GUILLAUME AND JACOB GRIMM من شرقي اوربا في القرن التاسع عشر .

ان فن حكاية القصة ، كتراث شرقي أصيل ، انحط كثيرا في عراقنا ، وان الجيل المعاصر في المدن أدرك بأن ذلك الفن قد انطفأ الآن .. على أن حكاية القصة كانت حتى قبل الاحتلال الانكليزي حرفة نافعة رابحة ، وانجازا مقبولا ، وكانت المقاهي والاسواق الموطن الملائم للقصاص .. وهؤلاء كانوا ينبسطون للهدايا التي تتراكم عليهم من كل صوب ، ولاسيما اذا ارتجلوا القصة .

أما النساء القاصات فكنّ ـ دائما ـ موضع حفاوة الحريم .. ولكن الآن وقبل الآن زال كل شيء ... ففي المدن حلت السينما والراديو والتلفزيون وآلات التسجيل محل القصاص ، وفي بيوت افقد التلقين صولته .. وهل القصة غير

كلمة تنحدر من جيل الى جيل ؟..اذن .. فما أسهل أن يطغى النسيان على تراثنا الشعبي !!..

والواقع ان الكائنات الغيبية لا تزال تعيش في القصص والحكايات المتداولة بين المواطنين (باستثناء الفئة المتعلمة) ،وتقول المستشرقة الانكليزية « ا . س . ستيفنس » E. S. STEVENS المعروفة بليدي دراور LADY DROWER: انني طوال العشر السنوات التي مكثتها في بغداد لم اسمع حكاية واحدة تشير الى الروح ، ولكن هذا لا يعني براءة الادب الشعبي العراقي من الارواح ... وانما أنا شخصيا لم أسمع شيئا من ذلك القبيل ، وحتى سواى اذا سمع ان البيت « مسكون » فانه لا يفهم من ذلك ان الموتى سكانه فحسب ، وانما يفهم ان (الجان) هم أربابه ولا شريك لهم ..ولقد سألت بعض النسوة عن العلة فكان الجواب عادة يضارع هذا : « لماذا يجب أن يعود الميت ؟ ان الموتى ذهبوا ، وهم قانعون بمنازلهم اللائقة .. هناك !! » ،ثم تستطرد ليدي دراور قائلة : « وهذا غريب جدا .. لان السومريين والبابليين كانوا أول من ارتدى هذه العقيدة ، فآمنوا بالارواح ، وجادوا بكل شيء ..كسبا لرضاها » .

وهناك أناس غيبيون لا تزال الاساطير العراقية تعتز بهم ... كالسعلوة والديو وام الصبيان والدامي والصير والقرينة والطنطل . ولدى الجاحظ في كتابه (الحيوان) تفاصيل وافية حول بعضها ولاسيما السعلوة والقرينة ، ومثل ذلك نستطيع أن نجده في (حياة الحيوان) للدميري ، و (عجائب المخلوقات) للقزويني ، و (خريدة العجائب) لابن الوردي ، و (أخبار الزمان) للمسعودي .

فالسعلوة تحتل أكثر الفصول التمثيلية في الاسطورة العراقية شأنها شأن ساحرة .. غريبة الخلقة في خرافات الغرب ، وهي روح مائي ، وانا لو لا ضيق المجال لاتينا على وصفها كما هي في عقلنا الشعبي ، ولكننا ـ مع ذلك ـ نقول انها خرافة مركبة ، انبثقت عن الطقوس الخاصة بآلهة النهر القديمة .. أو عن تلك الحكاية المشائعة بين زنوج افريقيا حول الغيلان !!

وعندنا ، في الاسطورة العراقية ،جني آخر .. يدعى فريج الاكرع ، وهو ولع بالكيد لصيادي السمك ،والقاطنين قرب الضفاف ، ولكنه ليس بالكائن الذي يخشى خطره كالسعلوة .وهو يشبه رجلا هرما .. ذا رأس

أحمر ، أصلع ، ولحية خضراء •

أمـــا الدامى ، فهـو مـن الغيـــلان الاوابد •• يتردد ـ كثيرا ـ على ضواحى المدن ، وانه بالعفاريت الآشورية والبابلية أشبه ، وطعامـه الاعتيـادى مقصور على النفايات ، والفضلات القذرة التى تصفح عنها الحيوانات الاخرى •• ولكنه ـ مع ذلك ـ يهـوى الدم البشـرى ، وله فى القصص العراقى الشعبى منزلة الذئب فى خرافات اوربا •

وبهـذه المناسبة يلزمنـا أن نقول ان الذئب يتمتع بسـمعة حميـدة فى الادب الشـــعبى العـــراقى ، فالجنى (•• أو الجنية) اذا رأى ذئبـا ، فانه يبقى حائرا فوق الارض ، ولا يسـتطيع أن يغوص فيهـا •• فلا جرم نجـد أدبنـا الشعبى يسبغ على الذئب هذا البأس الذى ترتجف له الـكائنات الميتافيزيقية الحاسـبة للذئب حسابه حين تقـع بين يديـه ••• فانـه آكلها ، لا محالة ، كما لو كانت بشرا • وقـد يحـدث للجنى ، وهو يجرى أمام الذئب خائفـا ، أن يطلب النجـدة من انسان عابر ، فاذا شاء هـــذا الانسان أن ينقذه بقتل الذئب ، فانه سيثاب على جميله بهدية خرافية • هـذا •• والام العراقية تعوذ بالذئب مـن الارواح الشـريرة ،

رامـــون هعـــدنى اصـــبح اليـــوم من

وتصنع الطلاسم الوقائية من برائنه وأنيابه وعينيه لمزاياها الناضة .

أما ام الصبيان ، فهى انثى مسالمة ، لا تكدر صفوا .. وانما تتطلع الى الحب والسلام ، وهى - ابدا - تمشى بالصلح بين المتزوجين والعشاق .. ولكن المشهور عنها انها تخنق الاطفال أو تسبى عقولهم .

والآن ، نعود من جديد لنذكر أن مجالنا ضيق فى هذه الدراسة السريعة ، ولو اتسع .. لاسترسلنا فى حديثنا عن أدبيات العقيدة الشعبية .

ومهما يكن الامر ، فان مركز الفولكلور العراقى فى وزارة الارشاد قد أخذ يعير تلك الادبيات اهتماما كبيرا ، ويشجع الباحثين الفولكلوريين على الكتابة فى هذا الموضوع بالذات ، ويرعى الابحاث المعقودة على الخرافة العراقية ، وعلى مدى تأثير الكلمة السحرية فى استمطار الخير ودفع الاذى ، وعلى منظومات السحر والطب القديم ، وعلى الاولياء وذوى الكرامات ، والجن والعفاريت ، وعلى الطابع الوثنى للطلسم الذى يسيطر على القوى الخفية .

ان مركز الفولكلور العراقى فى وزارة الارشاد سيساهم فى القريب العاجل مساهمة فعالة فى تفسير : لماذا كان القمر

مخلفات الفولكلور العراقى الدينى .

أعور ؟.. ولماذا عولجت الحمى باشعال سفة تحملها الام من البيت الى الشط ؟.. ولماذا اعتقد شعبنا ـ عند هطول المطر وظهور البرق ـ ان الشمس تريد أن تغسل رأسها ؟.. ولماذا لا يسب العنب الاسود ؟.. ولماذا كره العراقيون التطرف، فقالوا : لاشيش ولا كباب ؟.. ولماذا ركض أجدادنا ـ دائما ـ والعشه خبّاز ؟

كما ان مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الارشاد ـ وهي التي شيدت مركز الفولكور العراقي ـ قد ضاعفت اهتمامها بالشعر الشعبي ، ولطالما شكرها المواطنون على اذاعتها ونشرها نخبة صالحة من هذا الشعر .. ولكن هؤلاء المواطنين يتوقون الى المزيد من ذلك ، انهم يريدون أنفس الدراسات عن الزجل والحسجة والموّال والابوذية ، ويريدون بذل الجهود الصادقة في التقاط أغاني العمل والبكائيات وما له علاقة وثقى بالنشاط العاطفي ... فالعراق مفعم بالشعراء المغمورين الذين أغرقوا القرية والمدينة بأروع آثارهم الشعرية على الصعيد الشعبي . وقد أدرك مركز الفولكلور العراقي هذه الحقيقة ، فجنّد ـ ارضاء للمواطنين ـ جمهرة من الباحثين وزودهم بالمداد البيلوغرافي اللازم لبعث تراثنا المهمل .. وسيفحص هؤلاء بدقة واتقان أعداد مجلتي لغة العرب ودار السلام ، وجريدتي حبزبوز والكرخ ، وديوان الملا عبود الكرخي ، وما يتناثر من أفواه العدّادة والنايحة والروزخون في محافلهم الجنازية والادبية ، وما كتبته الليدي دراور على صفحات مجلة الجمعية الآسيوية الملكية Journal of the "Royal Asiatic Society." حول هذا التراث الرائع ، وكذلك ما جاء في كتابها « القصص الشعبي العراقي[1] » ، وما ذكره الجاحظ في رسالة « التربيع والتدوير » والتوحيدي في « الهوامل والشوامل » .

والفولكلور يقيم وزنا كبيرا لفنون النثر الشعبي : كالامثال والالغاز « الحزورات » ، ونداءات الباعة المتجولين والبقالين ، والنوادر والشتائم المهذبة .

وعلى الامثال العراقية سيعقد مركز الفولكلور في وزارة الارشاد طائفة من الابحاث النافعة ترجع في اصولها الى ما كتبه رزوق عيسى في « لغة العرب » ، والقاضي علي بن الفضل الطالقاني في رسالته عن الامثال البغدادية الجارية بين العامة في القرن الحادي عشر الميلادي (وقد نشرها المستشرق الفرنسي ماسينيون في القاهرة عام ١٩١٣) ، والى الميداني في « مجمع الامثال » ، كما تستعين

---

(١) Folk-Tales of Iraq, Oxford, 1931.

بالامثال البغدادية التى جمعها وبوّبها الآلوسى ، وبمعجم الامثال العلمية الموصلية الذى وضعه عبدالخالق الدباغ ، وبالمحاولة الناجحة التى حققها الشيخ جلال الحنفى فى هذا الصدد ... فبدون ذلك لا يستطيع المواطنون أن يفهموا علاقة « فطيمة » بسوگ الغزل ، ولماذا كان بيت ام گصبة مجمعا للحفيان ، ولماذا أصبح البدرى يدرى والما يدرى گضية عدس ، ولما ذا قيل : قابل حملك واگع بالداودية .. الخ .

وعلى قدر رعاية مركز الفولكلور العراقى للامثال ستكون رعايته للالغاز والنوادر والنشائم المهذبة ... هذه التى احتواها الرجل المدون والشفاهى والمأثورات العامية النثرية ، وألف ليلة وليلة ، وبخلاء الجاحظ وحيوانه ، وهوامل وشوامل التوحيدى ، وكتاب رياض الخزعلية ... ولكن جمعها وتشذيب نصوصها لا يكون ميسورا الا اذا صح العزم على المثابرة فى الدرس والمراجعة والتحقيق العلمى النزيه ... وقد يصدق عين الحكم على النداءات التى يتغنى بها الباعة المتجولون ترويجا لما يبيعون من فواكه وخضراوات وأطعمة ، فلقد طالما سمعنا بقال الشواكة وأبو سيفين أو البائع المتجول فى أزقة بغداد ينادى القثاء بقوله :

ـ نبع يا خيار .. تازه يا خيار .. بعده بالورده يا خيار ... قلم الملا يا خيار !!

وينادى الشلغم :

ـ درمان الصدر .. يا مايع !!

وينادى التفاح :

ـ أبيض يا عجمى ... لو ما الهوه ما جبناك .. أبيض ومقصور يا عجمى .. عجمى الابيض .. عجمى الابيض !!

وينادى العنب :

ـ أسود ليل ، وحبك هيل يا عنب .. اومن يبات أصيح الويل يا عنب !!

وينادى الزلابية :

ـ بعانتين وگيه ... بعيار البلديه .. والدهن دهن لبه .. لحد يعتب عليه ... يا زلابيه !!

وينادى الرقى :

ـ مذبح غزال ... اوطعمك نبات .. جارك قمرى يا رگى !!

ومن أشهر البائعين الجوالين بائع بيض اللگلگ ذو السلة المخروطية الملونة ..

الذى كانت نداماته الساحرة تستهوى جميع أطفال الدربونة ، فهو قادر ـ بنداء واحد ـ أن يجر ، وراءه ، موكبهم الطويل .. الطويل !!

وفى كتاب « البصائر والذخائر » للتوحيدى منافسة جميلة بين بائعى هريسة ، يتحدى كل منهما الآخر بصلاح هريسته .. كما ان بعض كتب الحسبة قد لا تخلو من النداءات ، وقد اهتم ماسينيون بجمع بعضها وتدوينها فى كتابه الموضوع باللغة الفرنسية عن اللهجة البغدادية[1] .

وسيجرد مركز الفولكلور العراقى ـ الى جانب انتفاعه بهذه المراجع ـ حملة من أرباب القلم الثقاة على شيوخ البقالين الاحياء الذين عاشوا أمسهم مع الربع الاخير من القرن التاسع عشر .. ليستعين بهم فى تدوين النداءات التى سادت السوق العراقى قبل اليوم ، مع مراعاة ان البقال العانى قد لا ينادى الطماطة بما ينادبها البقال الكوتى أو السنجارى أو البصرى ، فلكل نداء طابعه ، وهو يتفاوت لهجة ومعنى واداء .

والفولكلور العراقى غنىّ بالحكايات الشعبية والقصص الطوال والتمثيليات التقليدية : كمأساة الحسين (ع) التى لا

عقال وكوفية ونفخة
مدهمة .. تثير النغم الراقص

Notes Sur le Dialecte Arabe de Bagdad. وقد أنجز ترجمته الى اللغة العربيه الدكتور اكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية ، وسيصدر ـ كحلقة ثانية ـ فى سلسلة المكتبة الفولكلورية التى يشرف عليها مركز الفولكلور العراقى فى وزارة الارشاد .

تزال تمثل ، فى الهـواء الطلق ، خلف مسجد الكوفة ، وفى أمكنة اخرى ... والتراجيديات التى خلّد بعضهـا سلمان يهلوان ورفاقه مسـجلة على اسطوانات ما تزال تعيش فى بعض المكتبـات الموسيقية التى يقتنيهـــا الهـــواة .. وكذلك الكوميديات التهريجية التى حمل لواءها جعفر أغا لقلق زاده ، والتجمع الشعبى حول صندوق الولايات ، وحول عبـاءة المدّاح أمـام قهوة الطرف أو فى باحـة احدى العتبات المقدسة . ولكن تدوين هذا الطراز من تراثنـا يقتضى الاصغاء ، جيـــدا ، الى محترفى روايـــة الطرف والنكات وملاحم الادب العامى والرجوع

وشبة الاصابع على الدف
الصادح .

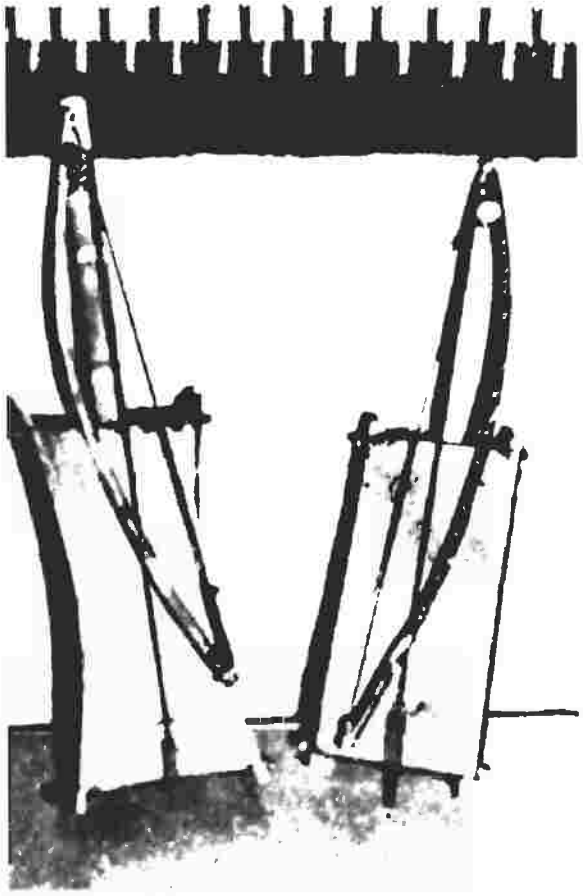

الربابة صديقة المحمة الشعبية

الى جرائدنا التي اختفت منذ أكثر من عشرين سنة ... ومما يؤسف له ان الحكاية الشعبية الاصيلة فقدت ـ قبل سنتين ـ رائدا عظيما بموت الشيخ سعيد (من محلة الجعيفر في كرخ بغداد) .. ولكن مما يقذف العزاء في نفوسنا هو أن المستشرق برونو مايسنر Bruno Meissner قد سجل لنا في كتابه « الحكايات الشعبية الحديثة في العراق[1] » عددا طيبا من حكاياتنا ، بعد أن التقطها في بابل ـ ابان الحكم العثماني ـ من قاص عراقي مجهول يدعى « رشيد الجالي » ..

على ان مركز الفولكلور العراقي في وزارة الارشاد قادر على احياء حكاياتنا الشعبية اذا هذب بعض النصوص المخطوطة في مجموعة الاستاذ الصوفي عن حكايات الموصل بلهجتها المحلية ،وبعض النصوص الدفينة في كتاب « زهر الربيع » لنعمةالله الجزائري ، والنصوص الاخرى التي جمعها الاب انستاس مارى الكرملي[2] .

ان الادب الشعبي ـ بنظمه ونثره ـ يحنّ حنينا موصولا الى معجم جامع للغة العامية ، فهو بحاجة الى محاولة ناجحة كمحاولة الدكتور فريحة في تأليف معجمه المعقود على الالفاظ العامية اللبنانية .. ولكن العبء أثقل من أن ينوء به كاهل واحد ، ولذلك سيتدخل مركز الفولكلور العراقي في الامر ويهون الخطب ، فهو يستطيع ـ بما جنّد من علماء ـ أن ينجز هذا العمل الجبار اذا انقطع الى اختبار وتحقيق ما كتبه الاستاذ كاظم الدجيلي ونلة من علماء

---

(١)

Neuarabische Geschichten Aus Dem Iraq Leipzig, 1903

(٢) وهي مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي في المستنصرية اليوم) برقم ٩١٠ .

الدف الشعبي حين يستجلب الرزق او يدعم الغناء الديني .

العراق فى مجلة لغة العرب ، والاستفادة من دراسات الكرملى والشبيبى وأدّى شير ومصطفى جواد وداود الجلبى فى هذا الحقل ، مع الاستئناس بآثار تيمور باشا والشيخ أحمد سليمان الظاهر التى عالجت العامية بصورة وافية • وهناك جمهرة من المستشرقين كتبوا عن لغة العراق العامية •• ولاسيما لهجة بغداد ، ولكنهم لم يؤلفوا كتابا قائما على هذا الفن •• باستثناء ماسينيون ، وبالرغم من ذلك فان مركز الفولكلور العراقى سينتفع بالابحاث النفيسة التى عقدها المستشرقان مايسنر ويحيى الدانيماركى على لهجتنا العامية ، وبكتاب (العربية الدارجة فى بلاد ما بين النهرين) للاستاذ الامريكى جون فان ايس ، وسيعير — كذلك — الراهب البغدادى جبرائيل اوسانى الكلدانى بعض الاهتمام •• فهو قد بذل جهدا مشكورا فى مقالته « اللغة العامية البغدادية » المنشورة فى مجلة الجمعية الشرقية الاميركية (مجلد ٢٢/١٩٠١[1]) •

أما أغانينا الشعبية فهى بخير وعافية ، ويا حبذا لو انصرفت الهمم الى تخليدها بالدرس والتأليف •• لنكون بذلك أهلا لثناء الاحفاد فى جيلهم المقبل •• بله ان المواطن العراقى — بصورة غالبة — لا يزال

(١)

يجهل خصائص أغانيه الشعبية وأهازيجه ومقاماته ، ومن الصعوبة بمكان أن يدرك التفاوت الفني بين الحويزاوي والاوج أو بين القطر واللامي أو بين عجم عشيران والابرهيمي أو بين المحمودي والحسيني ... وتدليلا لذلك حاول الاستاذ الحاج هاشم الرجب بدراسته النفيسة التي نشرها عن المقام العراقي أن يرتق بعض الفتق ، ويسد ثغرة كانت كبيرة فيما مضى . وأيا كان الامر ، وبالرغم من الخدمات الفنية التي قدمتها قهوة عزاوي ، في تلفزيون الجمهورية العراقية فان ثقافتنا الموسيقية لا تزال تحبو .. ولا تزال تتعثر في طريقها .

والمواطنون ، كذلك ، يشكرون تلفزيون بغداد على عنايته بالرقص الشعبي (العربي ـ الكردي ـ الآثوري ـ الارمني) ، ومما هو جدير بالتنويه ـ في هذا الصدد ـ ان الاستاذ عبدالامير الصراف قد تقدم الى مركز الفولكلور العراقي ببعض الاقتراحات الموجهة حول تشكيل فرقة فولكلورية للرقص العراقي ، تستطيع أن تؤدي هذا الفن باسلوبيه الفردي والجماعي : كرقصة الهجع

▲ انغـــام وازيـــاء

▼ وعذوبـة ورقـــص

النجرية و « الدحة » البدوية التي تجيدها قبيلتا عنزة وشمر في باديتنا الشمالية والجنوبية ، ورقصة « الساس » المنتشرة في أنحاء بلد وسامراء وتكريت وبعض الاحياء البغدادية ، ورقصة « الجوبية » الضاربة في الوسط الريفي الذي يعتمد على زراعة الشلب والقمح ، وكذلك رقصات النوتية « السفّانة » في البصرة ، ورقصات صيادي السمك في بطائح الجنوب ... وقد لاقت هذه الاقتراحات كل التشجيع والعون .

ان المواطنين ، ايضا ، معجبون بالتماثيل الصغيرة التي صاغها الفنان ياس خضير ، والتي جسّد فيها بعض الرقصات الشائعة في الشمال والجنوب .. مؤكدا على الطابع المحلي والتاريخي لازيائنا الشعبية . ان « متحف الازياء العراقي » أصبح - منذ أيام - تحت رعاية وزارة الارشاد .. وهذا ما سيسوق مركز الفولكلور العراقي الى انتاج بعض الدراسات الازيائية التي تدعم ذلك المتحف ، وتعزز أهميته الخطيرة في تاريخنا الحضاري .

أما عاداتنا وتقاليدنا الشعبية ، فميدانها رحب ، وهي عند العرب تختلف عنها عند الاكراد أو الصابئة أو التركمان أو الارمن ... أو غيرهم ممن يسعى في مناكب الجمهورية العراقية ، ورصيدها يتسع للدفاع عن الشرف ، وأخذ الثأر ، وللملابسات الزواج (خطبة - حناء - زفة - دخلة - خصومة بين أهل الزوجين) ، وللمشاكل الميلاد (طفولة - امتهان الانثى - ختان) ، ولبعض المنازع العاطفية (الزوجة العاشقة - نكبة المرأة في الريف) ، وللبكائيات (دفن الميت - المناحة - اقامة الفاتحة - الضحية - أربعون الميت) ، كما يتسع للزيارات الموسمية (الكسلات - سلمان پاك - سيدادريس - حبيب العجمي - مردّ الراس) ، وللسلوك الاجتماعي الذي تسيطر عليه (دورة السنة) و (ختمة القرآن الكريم) و (خسوف القمر) .. ولكن هناك طائفة كبيرة من تقاليدنا يكاد يطمرها الاهمال ، ويذهب بها الطغيان الحضاري الذي راود مجتمعنا أوائل القرن العشرين . وبوسع الباحث الفولكلوري أن يستغل الانطباعات السطحية العابرة التي سجلها الرحالة المسلمون والغربيون الذين زاروا العراق في عهود متفاوتة .. ليشيد عليها واقعنا الشعبي وملامحه المتطورة مع الزمن .

كبرياء بائعة اللبن

المجرشة ينبوع البكائية في العراق

فقد خلف لنا ابن جبير وبرامين التطيلي وبيدرو ديلافاله وتافرنييه وليونارد راوولف وتيكسيرا وسيور دى غوز وويلستيد والمبشر غروفز وستوكلر ورس والمس بيل والليدى آن بلنت والدكتور غرانت والرحالة الامير الفارسى مرزا أبو طالب خان وريج الانكليزى وبيور الالمانى والسيدة ديلافوا الفرنسية ... وغيرهم . فهؤلاء قد خلفوا لنا مشاهداتهم نابضة بالحياة ، ولكنها فقيرة .. يعوزها العمق والشمول، وهى الى التريبورتاج الصحفى أقرب منها الى البحث الاكاديمى القيم . ومع ذلك فهى تستطيع أن تمزق جميع الاقنعة التى حجبت عنا الملامح العامة لحياتنا الشعبية .

والى جانب هؤلاء الرحالة ترك لنا بعض مؤرخينا الغيارى ذخيرة كريمة من تراثنا الضائع ، كمسكويه والتوحيدى وأبى الفرج الاصفهانى وابن أبى الحديد وعبدالقادر الخطيبى الشهرابانى وياسين العمرى وابراهيم الدروبى واسماعيل بك جول وعباس العزاوى ... فضلا عما كتبه هنرى فيلد عن اليزيدية والصابئة وبعض القبائل الاخرى ، وهيوز فى كتابه « قاموس الاسلام » ، وعدد كبير من العلماء فى « دائرة معارف الدين والاخلاق » و « دائرة المعارف الاسلامية »

انبياء عراقية ضاحكة

والاسكلوبيديات الغربية الاخرى ..ولكن المرحوم الملا عبود الكرخي أضاء بملحمته الكونية التي نظمها عام ١٩٢٥وبمجرشته الذائعة الصيت جوانب أصيلة من فولكلورنا ، بعضها تلاشى مع الايام ،وبعضها الآخر لا يزال يعاني سكرات الموت في بعض الاحياء القديمة من عراقنا لجديد . وسينجد مركز الفولكلور العراقي في وزارة الارشاد ثمالة عاداتنا وتقاليدنا بالبعث والدرس والنشر اذاعة وتلفزة وكتابة .. حتى لا يعيش الناس حاضرهم بلا أمجاد .. كشجرة ماتت جذورها ، فهي تخشى رياح آذار .

ومركز الفولكلور العراقي سيتعهد بالرعاية جميع الميادين والآفاق التي غزاها الفولكلور العراقي ، وسيخص فن الريازة الشعبية والصناعات اليدوية بقسط كبير من الاهتمام ، وهو يستطيع أن ينتفع بما كتبه عن فن عمارتنا العراقية الاستاذ فيوله الفرنسي الذي كان مهندسا لولاية بغداد عام ١٩١٢ والاستاذ كرسويل الانكليزي

الزي الجميل عمود الحياة العاطفية في العراق

وشم على وجه
صحراوي رائع
القسمات

عطار

▲ جمال الغدائر يخفف صرامة البادية العراقية

غادة البطائح .. والجاون ◄

وهرتسفيلد الالمانى ، واوسكار ريوتر OBCAR REUTHER الذى خلّد بعض السمات العمارية العراقية ولاسيما البغدادية فى كتاب مصور طبعه باللغة الالمانية[1] ... فكما بعث هذا المركز الحياة فى أغلب الفروع التى تناثرت حولها صناعتنا اليدوية حين عرض ، فى مراكز الارشاد ، على الجمهور العراقى نماذج عديدة من دلال القهوة وألبسة الرأس والقدم والاوانى المعدنية ، فانه سيفتح جميع النوافذ لتراثنا الشعبى ، لكى يطلّ - من جديد - على الحياة .. ويستحم بالشمس .

ان الفولكلور العراقى ، اليوم ، أحوج ما يكون الى متحف ... تزدهر قاعاته بالكائنات الخرافية ، واليمنى ، والبشماغ ، ومختلف أنواع العگل ، وزبون البتّه ، والدمیری ، والهاشمی ، والداريّه ، والخزامه ، والورده ، والفينه ، والكلاو ، والبشت ، والمعلقات الشعرية والنثرية ، والمسجلات الموسيقية ، واللوحات التى تمثل رجل الشارع فى حياته اليومية ..الخ .. وجميع المصنوعات اليدوية ، والتابلوهات التاريخية الحية . وسيعد مركز الفولكلور - فى المستقبل - ما يلزم لانشاء هذا المتحف اسوة بالمانيا والنمسا والولايات المتحدة وانكلترا وجميع الدول المتقدمة فى مضمار الحضارة ... فمن المؤلم - حقا - أن يكون العراق - وهو الحاضن الابعد الفولكلور - خلوا من متحف يجمع ما ضاع ، ويحفظ ما سوف يضيع ، وهذا اقتراح وجيه ... سيجعله مركز الفولكلور العراقى حقيقة ناتئة ، وواقعا يدعو الى الزهو والفخر .

ان مركز الفولكلور فى وزارة الارشاد سيصافح جميع الباحثين فى الحقل الفولكلورى ، وسيمد لهم يد العون المادى والمعنوى ، ويحتضن جميع ما يكتبونه حول تراثنا الشعبى الخالد .

(١) Das Wohnhaus in Bagdad und Anderen Stadten des Iraq.

الذوق البغدادي في العمارة الاسلامية

الكشاف

أناسى غيبيون ٢٧
انكلترا ٤٧
الاوج (مقام) ٣٨
اوربا ٣ ، ٨ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٢٨
ايس (جون فان) ٣٧
بائع بيض اللگلگ ٣١
بائع الهريسة ٣٢
بابل ٣٥
البابليون ٢٧
بارتوك (بيلا) ٢٢ ، ٢٣
البحر الابيض المتوسط ٢٦
البخلاء (كتاب) ٣١
برلين ٤٧
البشت ٤٧
بشر فارس ٢٠
البصائر والذخائر (كتاب) ٣٢
البصرة ٤٠
بغداد ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٣
البكائيات ٣٠
بلد ٤٠
بلنت (الليدى آن) ٤٢
بوتشيني ٢٢
بيتريه ٨
بيزيه (جورج) ٢٠
بيكاسو ١٨
بيل (المس) ٤٢
الآداب (مجلة) ٢٣
الآشوريون ٢٦
آلهة النهر ٢٧
الابراهيمى (مقام) ٣٨
ابن أبى الحديد ٤٢
ابن جبير ٤٢
ابن الوردى ٢٧
الابوذية ٣٠
أبو سيفين ٣١
الاثينيوس (قاعة) ٤
أحمد رشدى صالح ١٠
أخبار الزمان (كتاب) ٢٧
الادب الشعبى (كتاب) ١٠
أدى شير ٣٧
الارمن ٤٠
الاسبوع (مجلة) ٣
الاصفهانى (أبو الفرج) ٤٢
أغانى العمل ٣٠
الاكراد ٤٠
أكرم فاضل ٣٢
ألبسة الرأس والقدم ٤٧
ألف ليلة وليلة (كتاب) ٢٦ ، ٣١
المانيا ٤٧
الامثال البغدادية (رسالة) ٣٠
ام الصبيان ٢٧ ، ٢٩
ام گصبة ٣١

تاريخ الفن فى عصر الانسان الاول الحسينى (مقام) ٣٨
(كتاب) ١٨
تافرنيه ٤٢
التراجيديات ٣٤
التربيع والتدوير (رسالة) ٣٠
التركمان ٤٠
تصاوير الاطفال (مقالة) ٢٠
التطيلى (بنيامين) ٤٢
تكريت ٤٠
تلفزيون بغداد ٣٨
التمثيليات التقليدية ٣٢
التوحيدى ٢٤ ٣٠ ٣٢ ٤٢
تومس ٤
نيكسيرا ٤٢
تيمور باشا ٣٧
الجاحظ ٢٤ ٢٧ ٣٠
جعفر اغا لقلق زاده ٣٤
الجعيفر (محلة) ٣٥
الجلبى (داود) ٣٧
الجمعية الآسيوية الملكية (مجلة) ٣٠
الجمعية الشرقية الاميركية (مجلة) ٣٧
الجوبيه (رقصة) ٤٠
جول (اسماعيل بك) ٤٢
جيزبوز (جريدة) ٣٠
حبيب العجمى ٤٠
الحريم ٢٦
الحسجه ٣٠
حسن الباشا ١٨
حسين مؤنس ١٠
الحكايات الشعبية الحديثة فى العراق (كتاب) ٣٥
حكايات الموصل (كتاب) ٣٥
الحنفى (الشيخ جلال) ٣١
الحويزاوى (مقام) ٣٨
حياة الحيوان (كتاب) ٢٧
الحيوان (كتاب) ٢٧ ٣١
ختمة القرآن الكريم ٤٠
الخرافة العراقية ٢٩
خريدة العجائب (كتاب) ٢٧
الخزامة ٤٧
خسوف القمر ٤٠
الخطيبى (عبدالقادر) ٤٢
دائرة المعارف الاسلامية ٤٢
دائرة معارف الدين والاخلاق ٤٢
دار السلام (مجلة) ٣٠
الدارية ٤٧
الدامى ٢٧ ٢٨
الداودية ٣١
الدباغ (عبدالخالق) ٣١
الدجيلى (كاظم) ٣٥
الدحه (رقصة) ٤٠
دراور (ليدى) ٢٧ ٣٠
الدروبى (ابراهيم) ٤٢
دلال القهوة ٤٧
الدميرى (عالم) ٢٧
الدميرى (لباس) ٤٧
دوفى (راؤل) ٢٠

دى غوز ٤٢
ديلافاله ٤٢
ديلافوا (السيدة) ٤٢
الديو ٢٧
راولف ٤٢
الرجب (الحاج هاشم) ٣٨
رزوق عيسى ٣٠
رشيد الچالى ٣٥
الرقص الشعبى ٣٨
الروزخون ٣٠
روس ٤٢
روسو ٢٠
رياض الخزعلية (كتاب) ٣١
ريج ٤٢
ريوتر (اوسكار) ٤٧
زبون البته ٤٧
الزجل ٣٠
زنوج افريقيا ٢٦ ٢٧
زهر الربيع (كتاب) ٣٥
الساس (رقصة) ٤٠
سامراء ٤٠
ستوكلر ٤٢
ستيفنس (ا ٠ س ٠) ٢٧
السلوة ٢٧
سلمان پهلوان ٣٤
سوگ الغزل ٣١
السومريون ٢٦ ٢٧
سيد ادريس ٤٠
شاگال (مارك) ٢٠
شاكر حسن سعيد ٣
الشبيبى ٣٧
الشعوب الهندو ـ اوربية ٨
شمّر ٤٠
الشواكة (محلة) ٣١
الشيخ سعيد ٣٥
الصابة ٤٠
الصراف (عبدالامير) ٣٨
الصلبة ٤٢
صندوگ الولايات ٣٤
الصوفى ٣٥
الصير ٢٧
الصين ١٧
الطالقانى (على بن الفضل) ٣٠
الطلاسم الوقائية ٢٩
ظافر الآلوسى ٣١
الظاهر (الشيخ احمد سليمان) ٣٧
عباءة المساح ٣٤
العتبات المقدسة ٣٤
عجائب المخلوقات (كتاب) ٢٧
عجم عشيران (مقام) ٣٨
العدادة ٣٠
العرب ٨
العربية الدارجة فى بلاد ما بين النهرين (كتاب) ٣٧
العزاوى (عباس) ٤٢
الغاريت الآشورية ٢٨
الگل ٤٧
العمرى (ياسين) ٤٢

عنزة ٤٠
غرانت (الدكتور) ٤٢
الغجر ٢٦
غروفز (المبشر) ٤٢
غوركى ٢٤
الغيلان ٢٧ ٢٨
فريج الاكرع ٢٧
الفرس ٨
فريحه (الدكتور) ٣٥
فطيمة ٣١
فن الريازة الشعبية ٤٣
الفينة ٤٧
فيلد (هنرى) ٤٢
فيوله (المستشرق) ٤٣
القاهرة ١٨ ٣٠
قاموس الاسلام (كتاب) ٤٢
القرينة ٢٧
القزوينى ٢٧
القصص الشعبى العراقى (كتاب) ٣٠
القطر (مقام) ٣٨
القيم التصويرية المعاصرة (مقالة) ٣
الكائنات الميتافيزيقية ٢٧ ٢٨
الكاتب المصرى (مجلة) ٢٠
كارمن (اوبرا) ٢٠
الكاشيون ٢٦
كاندنسكى ١٨
كربلاء ٢٦
الكرخ (جريدة) ٣٠
الكرخى (الملا عبود) ٣٠ ٤٣
كرسويل ٤٣
الكرملى (انستاس) ٣٥ ٣٧
كريم (جاكوب) ٢٦
كريم (گيوم) ٢٦
الكسلات ٤٠
الكلاو ٤٧
الكلدانى (اوسانى) ٣٧
الكلدانيون ٢٦
الكلمة السحرية ٢٩
الكنج ١٧
گهوة الطرف ٣٤
گهوة عزاوى ٣٨
گوگان ١٨
الكوميديات التهريجية ٣٤
لاكمه (اوبرا) ٢٠
اللامى (مقام) ٣٨
لغة العرب (مجلة) ٣٠ ٣٧
اللغة العامية البغدادية (مقالة) ٣٧
لندن ٤
اللهجة البغدادية (كتاب) ٣٢
ليب (ليودى) ٢٢
ماتيس (هنرى) ٢٠
مأساة الحسين (ع) ٣٢
ماسينيون ٣٠ ٣٢ ٣٧
مايسنر (برونو) ٣٥ ٣٧
متحف الازياء العراقى ٤٠
المتحف الفولكلورى ٤٧
المجرشة (قصيدة) ٤٣
المجلة (مجلة) ١٠

مجمع الامثال (كتاب) ٣٠
مجمع اللغة العربية فى القاهرة ٢٣
المحافل الجنازية ٣٠
المحمودى (مقام) ٣٨
مدام بترفلاى (اويرا) ٢٢
مدلول الفولكلور ٢٣
مودليانى ١٨
مديرية الفنون والثقافة الشعبية ٣٠ ٣٢
مرد الراس ٤٠
مرزا أبو طالب خان ٤٢
مركز الفولكلور العراقى ٢٣ ٢٩ ٣٠
٣٢ ٣٥ ٣٧ ٣٨ ٤٠ ٤٣
٤٧
المستنصرية ٣٥
مسجد الكوفة ٣٤
المسعودى ٢٧
مسكويه ٤٢
مشكلات التعبير فى الموسيقى الحديثة
(مقالة) ٢٣
المصريون ٢٦
مصطفى جواد ٣٧
مطاع صفدى ٢٢
معجم الامثال العامية فى الموصل
(كتاب) ٣١
المقام العراقى (كتاب) ٣٨
المكتبة الفولكلورية ٣٢
مكتبة المتحف العراقى ٣٥
المكتبات الموسيقية ٣٤
الملحمة الكونية (قصيدة) ٤٣
منظومات السحر والطب ٢٩
الموال ٣٠
الميثولوجيا المقارنة ٦
الميدانى ٣٠
النايحه ٣٠
النجف ٢٦
نداءات الباعة ٣١
نعمةالله الجزائرى ٣٥
نيبور ٤٢
النيل ١٧
الهاشمى (لباس) ٤٧
الهجع (رقصة) ٣٨
هرتسفيلد ٤٧
هنغاريا ١٧
الهوامل والشوامل (كتاب) ٣٠ ٣١
هيوز ٤٢
وادى الرافدين ١٧
الوردة ٤٧
وزارة الارشاد ٢٣ ٢٩ ٣٠ ٣٢
٣٥ ٤٠ ٤٣
الولايات المتحدة ٤٧
ويلستيد ٤٢
ياس خضير ٤٠
يحيى الدانيماركى ٣٧
اليزيدية ٤٢
اليشماغ ٤٧
اليمنى ٤٧